يواري سواتهم فقال تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم يعني لباسا تسترون به عوراتكم فان قلت ما معنى قوله انزلنا عليكم لباسا قلت ذكر العلما وجوها احدها انه بمعنى خلقنا اي خلقنا لكم لباسا الوجه الثاني ان الله تعالى انزل المطر من السما وهو سبب نبات اللباس فكانه انزل عليهم الوجه الثالث ان جميع بركات الارض تنسب الى السما والى الانزال كما قال تعالى وانزلنا الحديد وريشا الريش للطاير معروف وهو لباسه وزينته والمعنى وانزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سواتكم ولباسا لزينتكم لان التزين غرض صحيح كما قال تعالى لتركبوها وزينة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال واختلفوا في معنى الريش المذكور في الاية فقال ابن عباس وريشا يعني مالا وهو قول مجاهد والضحاك والسدي لان المال مما يتزين به ويقال تريش الرجل اذا تمول وقال ابن زيد الريش الجمال وهو يرجع الى الزينة ايضا وقيل الرياش في كلام العرب الاثاث وما ظهر من الثياب والمتاع مما يلبس او يفرش والريش ايضا المتاع والاموال عندهم وربما استعملوه في الثياب والكسوة دون ساير المال يقال انه لحسن الريش يعني لحسن الثياب وقيل الريش والرياش يستعمل ايضا في الخصب ورفاهية العيش ولباس التقوى اختلف العلما في معناه فمنهم من حمله على نفس الملبوس وحقيقته ومنهم من حمله على المجاز اما من حمله على نفس الملبوس فاختلفوا ايضا في معناه فقال ابن الانباري لباس التقوى هو اللباس الاول وانما اعاده اخبارا ان ستر العورة من التقوى وذلك خير وقيل انما اعاده لانه اخبر عنه بانه خير لان العرب في الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعري وخلع الثياب في الطواف بالبيت فاخبر ان ستر العورة في الطواف هو لباس التقوى وذلك خير وقال زيد ابن علي لباس التقوى الات الحرب التي يتقى بها في الحروب كالدروع والمغفر ونحو ذلك وقيل لباس التقوى هو الصوف والخشن من الثياب التي يلبسها اهل الزهد والورع وقيل هو ستر العورة في الصلاة واما من حمل لباس التقوى على المجاز فاختلفوا في معناه فقال قتادة والسدي لباس التقوى هو الايمان لان صاحبه يتقي به من النار وقال ابن عباس لباس التقوى هو العمل الصالح وقال الحسن هو الحيا لانه يحث على التقوى وقال عثمان بن عفان لباس التقوى هو السمت الحسن وقال عروة ابن الزبير لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به مما خلق الله له من لباس التجمل وزينة الدنيا وهو قوله تعالى ذلك خير يعني ان لباس التقوى خير من لباس الجمال والزينة وانشدوا في المعنى

اذا انت لم تلبس ثيابا من التقى ❊ عريت وان وارى القميص قميص ❊

وقوله تعالى ذلك من ايات الله يعني انزال اللباس عليكم يا بني ادم من اياته الدالة على معرفته وتوحيده لعلهم يذكرون يعني لعلهم يذكرون نعمه عليهم فيشكرونها قوله تعالى يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة قيل هذا خطاب للذين كانوا يطوفون بالبيت عراة والمعنى لا يخدعنكم بغروره ولا يضلنكم فيزين لكم كشف عوراتكم في الطواف وانما ذكر قصة ادم هنا وشدة عداوة ابليس له ليحذر بذلك اولاد ادم فقال تعالى يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم يعني من الجنة ادم وحوى والمعنى ان من قدر على اخراج ابويكم من الجنة بوسوسته وشدة عداوته فان يقدر على فتنتكم بطريق الاولى فحذر الله عز وجل بني ادم وامرهم بالاحتراز عن وسوسة الشيطان وغروره وتزيينه القبايح وتحسينه الافعال الرديئة في قلوب بني ادم فهذه فتنته التي نهى الله عباده عنها وحذرهم منها وقوله تعالى ينزع عنهما لباسهما انما اضاف نزع اللباس الى الشيطان وان لم يباشر ذلك لان نزع لباسهما كان بسبب وسوسة الشيطان وغروره فاسند اليه واختلفوا في اللباس الذي نزع عنهما فقال ابن عباس كان لباسهما الظفر فلما اصابا الخطية نزع عنهما وتبقت الاظفار تذكرة وزينة ومنافع وقال وهب بن منبه كان لباس ادم وحوا نورا وقال مجاهد كان لباسهما التقوى وفي رواية عنه التقوى وقيل كان لباسهما من ثياب الجنة وهذا القول اقرب لان اطلاق اللباس يطلق عليه ولان النزع لا يكون الا بعد اللباس ليريهما سواتهما يعني ليري ادم عورة حوا ويري حوا عورة ادم وكان قبل ذلك لا يري بعضهم سوءة بعض انه يراكم هو وقبيله يعني ان ابليس يراكم يا بني ادم هو وقيل انما اعاد الكناية في قوله هو ليحسن العطف والقبيل جمع قبيلة وهي الجماعة المجتمعة التي يقابل بعضهم بعضا وقال الليث كل جيل من جن او انس قبيل ومعنى يراكم هو وقبيله اي من هو من نسله وقال ابن عباس هو وولده وقوله من حيث لا ترونهم يعني انتم يا بني ادم قال العلما ان الله خلق في عيون الجن ادراكا يرون بذلك الادراك الانس ولم يخلق في عيون الانس هذا الادراك فلم يروا الجن وقالت المعتزلة الوجه في ان الانس لا يرون الجن رقة اجسام الجن ولطافتها والوجه في روية الجن للانس كثافة

اجسام

اجسام الانس والوجه في روية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى قوى شعاع ابصار الجن وزاد فيها حتى يرى بعضهم بعضا ولو جعل في ابصارنا هذه القوة لرايناهم ولكن لم يجعلها لنا وحكى الواحدي عن ابن الجوزي عن ابن عباس انه قال ان الله تعالى جعلهم يجرون من بني ادم مجرى الدم وجعل صدور بني ادم مسكنا لهم الا من عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس فهم يرون بني ادم وبنو ادم لا يرونهم وقال مجاهد قال ابليس لنا اربعة نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى وقال مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المونة الا من عصم الله انا جعلنا الشياطين اوليا يعني اعوانا وقرنا للذين لا يومنون قال الزجاج يعني سلطناهم عليهم يزيدون في غيهم قوله عز وجل واذا فعلوا فاحشة قال ابن عباس ومجاهد هي طوافهم بالبيت عراة الرجال والنسا وقال عطا هي الشرك والفاحشة اسم لكل فعل قبيح فيدخل فيه جميع المعاصي والكباير فيمكن حملها على الاطلاق وان كانت بسبب مخصوص بما ورد من طوافهم عراة ولما كانت هذه الافعال التي كان اهل الجاهلية يفعلونها ويعتقدون انها طاعات وهي في انفسها فواحش ذمهم الله عليها ونهاهم عنها فاحتجوا عن هذه الافعال بما اخبر الله عنهم وهو قوله تعالى قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها فذكروا لانفسهم عذرين احدهما محض التقليد وهو قولهم وجدنا على هذا الفعل اباءنا وهذا التقليد باطل لانه باطل لا اصل له والعذر الثاني قولهم ان الله امرنا بها وهذا العذر ايضا باطل وقد اجاب عنه بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشا والمعنى ان هذه الافعال التي كان اهل الجاهلية يفعلونها هي في نفسها قبيحة منكرة فكيف يامر الله بها والله لا يامر بالفحشا بل يامر بما فيه مصالح العباد ثم قال تعالى ردا عليهم اتقولون على الله ما لا تعلمون يعني انكم ما سمعتم كلام الله ابتدا من غير واسطة ولا اخذتموه عن الانبيا الذين هم وسايط بين الله وبين عباده في تبليغ اوامره ونواهيه واحكامه لانكم تنكرون نبوة الانبيا فكيف تقولون على الله ما لا تعلمون قوله تعالى قل امر ربي بالقسط اي قل يا محمد لهولا الذين يقولون على الله ما لا يعلمون امر ربي بالقسط يعني بالعدل وهذا قول مجاهد والسدي وقال ابن عباس بلا اله الا الله فالامر بالقسط في هذه الاية يشتمل على معرفة الله تعالى بذاته وصفاته والاقرار بانه واحد لا شريك له واقيموا وجوهكم عند كل مسجد فان قلت قل امر ربي بالقسط خبر وقوله واقيموا وجوهكم عند كل مسجد امر وعطف الامر على الخبر لا يجوز فما معناه قلت فيه اضمار وحذف تقديره قل امر ربي بالقسط وقال اقيموا وجوهكم عند كل مسجد فحذف قال لدلالة الكلام عليه ومعنى الاية في قول مجاهد والسدي وجهوا وجوهكم حيثما كنتم في الصلاة الى الكعبة وقال الضحاك معناه اذا حضرت الصلاة وانتم عند المسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم اصلي في مسجدي او في مسجد قومي وقيل معناه اجعلوا سجودكم لله خالصا وادعوه مخلصين له الدين اي واعبدوه مخلصين العبادة والطاعة والدعا لله عز وجل لا لغيره كما بداكم تعودون قال ابن عباس ان الله عز وجل بدا خلق بني ادم مومنا وكافرا كما قال تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن ثم يعيدهم يوم القيمة كما بدا خلقهم مومنا وكافرا وحجة هذا القول قوله في سياق الاية فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فانه كالتفسير له ويدل على صحة ذلك ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه اخرجه مسلم زاد البغوي في روايته المومن على ايمانه والكافر على كفره وقال محمد بن كعب من ابتدا الله خلقه على الشقوة صار الى ما ابتدا عليه خلقه وان عمل بعمل اهل السعادة كما ان ابليس كان يعمل بعمل اهل السعادة ثم صار الى الشقا ومن ابتدا خلقه على السعادة صار اليها وان عمل باعمال اهل الشقا كما ان السحرة كانوا يعملون عمل اهل الشقا ثم صاروا الى السعادة ويصح هذا القول ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل اهل النار وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل النار ثم يختم له عمله بعمل اهل الجنة اخرجه مسلم وقال الحسن ومجاهد في معنى الاية كما بداكم فخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيا فاحياكم ثم يميتكم كذلك تعودون فتحيا يوم القيامة ويشهد لصحة هذا القول ما روي عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم تحشرون الى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين اخرجه البخاري ومسلم وقوله تعالى

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)